مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد:63 السنة:2022

القضايا الصّوتية في التراث العربي قراءة في ضوء علم اللّغة الحديث

Phonological problems in the arabic patrimony –a reading linguistics

حسن الزهراء[1]
جامعة غرداية الجزائر
مخبر التراث المادي واللامادي مخطوطات اللغة والأدب الجزائر
Zahra.hassen@univ-gahrdaia.dz
د. سليمان بن سمعون
جامعة غرداية الجزائر
dr_bslimane@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2021/09/02 القبول 2021/10/21 النشر على الخط 2022/01/15
Received 02/09/2021 Accepted 21/10/2021 Published online 15/01/2022

ملخص

تَتنَاوَل هذه الوَرَقة البَحثِيّة أَهَم القَضَايَا الصّوتيةِ في التّراث العَرَبِي، مُتَمثلاً فيما كَتَبه عُلَمَاء العربيّة في المنْجَز اللّغَوِي التّراثي العربي، وبِمَا كَتَبَه عُلَمَاء التّجْوِيد. بَعْدَما أَدْرَك النّحَاة العَرَب قُصُور فِهْمِهم، نحَو العَرَبيّة وَصَرْفِها؛ مَا لم يَدْرسُوا أَصْوَاتُهَا ، فَكَانَتْ عَنَايتِهم بها شَدِيْدة فاقْتَضَاهُم ذلك، اكْتِناه مَخَارِج أَصْوَاتُها، وَجِهَازُها المصوّت، وَصِفَاتها العَامّة والخَاصّة وَظَوَاهِرها، وَإذا كَانَ عِلْم الأَصْوَات فِي بِدايته جُزءًا لاَ يتَجَزَأ من النَّحُو؛ فإنَّه سُرْعان مَا انْزوَى عنْد أَهْل القِرَاءَات وَالتّجْويد ، وَزَاد فِيه هَؤلاء الكَثِير مِنْ المَبَاحِث مُسْتَوحَاة مِنْ التَنزِيلِ العَزِيزِ، وأَصْبَحتْ تِلْكَ قَضَايَا تَشْغل بَال العُلَمَاء فِي الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيّة الحَدِيثَة، وَعلى وَجْه التَّحْدِيد الدِّراسَات الصَّوتيةِ. وَأَهم القَضَايَا التِّي شَغَلَت العُلَمَاء العَرَب فِي البَحث الصَّوْتِي قَدِيماً.

الكلمات المفتاحية: تُرَاث- أصْوات- دِرَاسَات لُغَوِيَة: تَأصِيل.

Abstract :

This research paper deals with the most important phonological issues of the Arabic heritage, represented by what the Arabic scholars wrote in the linguistic treatises of the heritage, And according to what the scholars of the Tajweed wrote After the Arab carvers realized the limits of their understanding, towards the Arabic and shaped it; as long as they did not study its phonologies, then they took great care and forced them to do so. And if phonology, in its early days, was an integral part of syntax, it soon became what was reserved for the people of recitation and Tajweed, and which
became the subjects of concern for the scientists.

Keywords: eritage- Phonology-language studies.

مقدمة:

[1]- المؤلف المراسل: حسن الزهراء البريد الإلكتروني: **Zahra.hassen@univ-gahrdaia.dz**

حينما شرع نحاتنا الأوائل يدرسون العربية ليصلوا إلى قواعدها كانوا يوجهون دراستهم نحو غاية محددة هي الحفاظ على القرآن الكريم ، وفهمه، وحفظ لغته، وأن تعلم اللغة وإتقانها لا يتم إلا بدراسة أصواتها لأدائها بصورة صحيحة وحمايتها من اللحن والتحريف، بعد ما اختلط العرب بشعوب أخرى، الناطقين بغير العربية.

فنبغ علماء العرب في هذا لمجال، ووضعوا دراسات صوتية على الرغم من إمكانياتهم البسيطة ، وقدموا الكثير من المباحث الصوتية التي تضارع المباحث الحديثة فيها، وعلى الرغم من اختلاف العصور وتباين الوسائل. ومن أهم هذه الدّراسات الصوتية، نجد دراسة "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، "وسيبويه"، و"ابن جني"، تناولوا مباحث صوتية تضم :مخارج الأصوات، وصفاتها، وترتيبها الصوتي معتمدين على حسن الصوت الدقيق، وذوقهم للأصوات حتى أصبحت هذه قضايا تشغل العلماء في الدّراسات اللغوية الحديثة، وحاولوا التوفيق بين التراث اللغوي، والصوتيات الحديثة؛ وذلك من خلال إعادة النظر في الموروث اللغوي العربِي القدِيم. وهذا ما يدفعنا لطرح الإشكالية التالية:إلى أيِّ مدى تمّ توظيف قضايا البحث الصوتِي التراثِي في الدراسات اللغوية الحديثة وأصبحت تعالج فيه؟ وما هي أهم هذه القضايا؟ وهل كان وصفهم كافيًا في ذلك؟

وكإجابة مسبقة على هذه الإشكالية، صغنا الفرضيات التالية:

. ترتبط الدراسات اللغوية الحديثة ارتباطًا وثيقًا بما قدمه العلماء في البحث اللغوي" الصوتي" القديم.

. تسند مباحِث علم اللغة الحديث بما قدّمَهُ التراث اللغوي وعلى وجه التحديد " البحث الصوتي".

. يرتهن البحث اللغوي الحديث بقضايا التراث اللغوي"الصوتي".

أولاً . بداية الدِّراسة الصّوتية :

1. توطِئة:

تعود عناية العرب بالصوتيات القديمة، إلى بداية الدّراسات اللغوية عندهم ومنذ نشأة اللّحن، فأصاب العربية في أصواتِها كما أصابها في نحوِها وصرفِها ودَلاَلَتُهَا.

وفي محاولة تتبع لمسيرة الدراسات الصوتية عند العرب قديماً وحديثاً، تبَيَنَ لنا أنّ مسيرة دراسة الأصوات العربية قد حُظيت باهتمام ملحوظ ونظر حاد عميق من اللغويين العرب القدامى. ومن رواد اللغويين في القديم نجد :"أبي اسود الدؤلي""69هـ"، و"الخليل"، و"سيبويه"،... وغيرهم؛ ممن حَذُوا حُذُوهم، وأفادوا من أعمالهم، ونقلوا عنهم، وبَقِيتْ الأمور على هذا النحو المحروم، من الابتكار والتجديد فترة من الزمن ، حتىّ جَاءَ "ابن جني" ، فَأَضَافَ ما أضَافَ وعَمَق، وفصّل وشَّرَحَ، وَفَسَّر؛ إلى أن تكاملت أعماله في هذا المضمار، وعدّتْ دِراسة علمية، ترشّح أنْ تكُون عِلمًا له كيَان أسَّسَ الرجل جوانبه، يتمثل كلُّ ذلك في كتابه الموسوم ب: "سر صناعة الإعراب"، الذّي قدّمَ له بمقدمة رائعة تنظم جملة المبادئ والأسُس؛ التِّي بنيّ عليها الدّرس الصوتي، والتي تحدد أبعاده وجوانبه، حتّى يصبح علمًا من علوم العربية ، والّذي سَمَّاهُ هو بعبقريته الفذة " منهج التجريب والتّذَّوق .

وبعد هذه الجهود "الجِنيّة " البَارِعة، فترت هَمْ اللغويين فاكتفوا، واكتفى معظمهم بالنقل المباشر عنه، وعن غيره من السالفين الكبار. فقد كان العرب سباقين إلى دراسة أصوات لغتهم، فقدّموا في هذا الشّأن بحوثاً قيّمة شهد لها المحدثون، ونجد ذلك من خلال هذين الفرعين لعلم الأصوات، الفونتيك والفونولوجيا.

2 . المبحث الأول: الصوتيات phonitic:

1.2. المطلب الأول: الصَّوت والحرف و الفونيم قراءات في علم اللّغة الحديث :

ابن جني في تعريفه للغة يقول" أما حدُّهَا: "فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".[1]

وهذا التعريف دقيق يستوقف باحث اللّغة على أنّ الأساس في الظّاهرة اللغوية هو الصّوت اللغوي، فهو هنا يؤكد على الطبيعة الصّوتية للغة، أي التركيز على اللغة المنطوقة دون المكتوبة ، وأهم مستوى في الظّاهرة اللغوية هو المستوى الصوتي.وهذا كذلك ما قامت عليه الدراسات اللّغوية الحديثة.

وقد بين ا"لخليل" و"سيبويه" في تحديده مخارج الأصوات فقال:" فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً... وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هنّ فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار.[2]

وذلك خلال القرنين الثاني والثالث هجري "الخليل"، و"سيبويه"، لم يفرقا بين الصّوت والحرف، في" القرن الرابع" أعطى " ابن جني" تعريفاً دقيقاً للصّوت فقال:" اعلم أنّ الصّوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمّى المقطع أينما عرض له حرفاً، تختلف أجراس الحروف بحسب اختلافها مقاطعها وعندما تناول ابن جني هذا المفهوم" الصّوت" فرق من خلاله بينه وبين الحرف، "[3]

فالصوت ؛عنده " هواء" يخرج مع النفس، وإذا تعرضت له مقاطع في الحلق أو الفم..." أعضاء جهاز النطق"؛ يسمى حرفاً. وتختلف بذلك الحروف بحسب مخارجها.

وعلى الرغم من أنّ "الخليل"و "سيبويه" لم يفرقا بين الحرف والصّوت، وظّلوا على هذه الحالة في القرنين الثاني والثالث هجري، إلى أن جاء "ابن جني" في القرن الرابع هجري فقدّم تعريفا ووصفاً دقيقاً للصوت، وفرق بين الصّوت والحرف وبذلك نقول أنّ الجهود الصّوتية عند العرب تكاملت فيما بينها، في تقديم الدرس الصوتي العربي.

أما الفرق بين الصوت والحرف كما ذهب إليه " رمضان عبد التواب" في قوله: "هذه الأصوات المختلفة، التي يعبر عنها في الكتابة برمز واحد، ولا تستخدم في اللغة للتفريق بين المعاني المختلفة؛ هي ما يطلق عليه الغربيون اسم: " فونيم"= وحدة صوتية/ عائلة صوتية، وبإمكاننا أن نطلق عليه" حرف" مقصود به "الرمز الكتابي"، ونعمل بذلك على التفريق: بين الاصطلاحين: " الصوت" و" الحرف".فالصوت هو ذلك الذي نسمعه ونحسّه، أما "الحرف" فهو الرمز الكتابي ، الذي هو وسيلة للتعبير عن صوت معين، والفرق بين الصوت هو الفرق بين العمل والنظر.[4]

لم يرد الصوت– إذن– عند القدامى، بالمفهوم الذي جاء به المحدثون، واصطلح عليه باسم" الفونيم" "phoneme "، أو "الوحدة الصوتية" التي تحوي مجموعة من الأداءات المختلفة.

2.2. المطلب الثاني :الصوت والدلالة في ظل تأصيل البحث اللّغوي:

دلالة الصوت عند "ابن جني"و"سيبويه"و"الخليل"...فالدلالة عندهم لا تتأتى إلا عبر استكناه العلاقة القائمة بين عنصرين أساسيين هما: الدال والمدلول؛ أي الصوت والمعنى فهما يشكلان العلامة اللغوية؛ لذا كان كل من سيبويه في "الكتاب" وابن جني " في الخصائص ينبهان إلى الصلة الوثيقة بين الصّوت ومعناه سعياً ورائهما إلى إبراز وتوضيح هذه العلاقة، ولقد أسهم ابن جني بشكل كبير في إبراز العلاقة بين الصّوت والمعنى إذ يعد من أكثر الباحثين القدامى تمسكاً بالعلاقة بين اللّفظ" الصيغة الصوتية"ومدلوله.

---

[1]. ابن جني ،(د.ت)، الخصائص ، تح: محمد علي النجار، د.ط، مكتبة دار الكتب المصرية، د.ت، ص.15.

[2]. سيبويه ،(1402 هـ. 1993) الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج.4، دار الرفاعي(الرياض)، م، ص.ص.432،431.

[3]. ابن جني، (1413هـ. 1993م)، سر صناعة الإعراب، تح: حسن الهذاوي، ج.1، ط.2، دار القلم (دمشق)، ، ص.5.

[4]. رمضان عبد التواب، (1417هـ.1997م)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي.ط.3، مكتبة الخانجي(القاهرة)، ص.ص.84.83.

ابن جني في علاقته بالأصوات بمعانيها التي اصطلح عليها باسم الدّلالة اللّفظية، في إطار نظريته "نشأة اللغة" والتي قامت على فكرة المحاكاة بوصفها إحدى آراء التي أقرت بوجود ارتباط في الصلة بين الدال والمدلول، والتي نشأت عن طريق المحاكاة الصّوتية للطبيعة ؛ فإن مفهوم "ابن جني" للغة كما أسلفنا الذكر قائم على النظام الصّوتي حين وصفها بأنّها:" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"؛ فهذا المعنى يؤكد على الارتباط الوثيق بين أصوات الألفاظ بمعانيها؛ إذ تسهم أصوات اللفظة بالدّلالة، إذان فالصّوت هو الجزء الأساس الذي أنشأ المعنى اللغوي للّفظة، وهذا يدل على أن المعنى و الصّوت كلاهما مرتبط بالآخر ارتباط وثيقاً.[1]

و"ابن جني" يقر بالصلة بين الأصوات ومعانيها وأنها ناشئة عن محاكاة أصوات الطبيعة، كما يؤكد بوجود مناسبة مابين الألفاظ ومعانيها أو محاكاة الأصوات للطبيعية، كتقليد الإنسان أصوات الحيوان، وأصوات مظاهر الطبيعة، وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هي من أصوات المسموعات: كدوي الرعد، وحنين الريح، وخرير الماء، ونعيق الحمار، وشحيح الغراب، وصهيل الفرس،...ونحو ذلك، ثم ولدت اللّغات بعد ذلك. ومن المعلوم أنّ اللّغة عند "ابن جني"؛ هي ظاهرة صوتية تختلف اختلافا كلياّ عن سائر الرموز.ومن ثمّ فإن لدراستها دراسة علمية تستوجب علينا البدء "بأصواتها".[2]

وقال ابن جني:" وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات".وأول من دافع من علماء الغرب عليها بالتفصيل العالم" هاردر" في كتابه " بحوث في نشأة اللغة".ومما يؤيد هذه النظرية.[3] وفي مقابل الوحدة الصوتية نجد مفهوم الفونيم الذي يعبر كذلك عليها.

ففي اللسان العربي مثلاً نجد الوحدتين "صار"و"سار" تشيران إلى تقابل تميزي يكشف لنا عن العلاقة تعويضية بين السين والصاد باعتبارهما فونيمين متمايزين ومندرجين في السياق نفسه" ...ار"وشرط ثبوت التعويض بينهما أنهم ينتميان إلى وحدتين مختلفتين تم استخراجهما من مدونة اللسان العربي.[4]

وتجدر الإشارة أنّ ما نود الحديث عنه في هذا السياق هو القيمة الدّلالية للصوت؛ أي على أساس أنّ الفونيمات تلعب دوراً فعالاً في تحديد معاني الألفاظ .

وقد حدّد " جاكبسون" داخل الفونيم خصائص مميزة واعتبره في اصطلاحه "صوت "يتكون من مجموعة الخصائص النطقية والسّمعية ، وهذا التعريف قدمه عام 1931م، وبعد عام واحد قدم تعريف آخر يركز على الصفة الصوتية للصوت" الفونيم".

وكان" كورتناي" أول من تعمق في دراسة "الفونيم"، إذْ نظر إليه باعتباره مجرد صور يحاول المتكلم تحقيقها بأصوات واقعية، واعتبره مفهوماً لغوياً وبالتالي وظيفياً.

ويعني ذلك أن الفونيم إذا استبدل بفونيم آخر فإن هذا الاستبدال يؤدي إلى تغيير الدلالة؛ فإذا أخذنا الفونيمات الآتية:/ع/،/ح/،/ش/،/ر/،/ت/،/ن/،/د/...، وقمنا بعملية استبدال بينها داخل الوحدة اللغوية نفسها فنقول: عاب، خاب، شاب، تاب، ناب،...؛فإننا ننتقل في نظر" تروبتسكي" من فونيم إلى فونيم، و الفونيم هو" تصور وظيفي" وهو أصغر وحدة فونولوجية أخرى، وقدم جاكبسون داخل الفونيم خصائص مميزة نسبه إلى الفونيم /د/ الذي يحتوي على خاصية "الجهر"...وعموماً فالفونيم هو الوحدة الفونولوجيا التي لا يمكن تجزئتها إلى وحدات صغرى .[5]

---

[1]. طارق بومود، (2012م)، دلالة الألفاظ عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص، مجلة الممارسات اللغوية (تيزي وزو)، العدد :9، ، ص.23.

[2]. ينظر: ابن جني: الخصائص،ص.19.

[3]. رمضان عبد التواب: المدخل في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص.112.

[4]. طيب دبه، (2001م)، مبادئ في اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية ابستمولوجية، د.ط، دار القصبة والتوزيع،، ص.178.

[5]. ينظر: حسني خاليد: مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، د.ط، مكتبة نوميديا، د.ت، ص. 40.

كما يعرف؛ :" بأنّه الوحدة الصّغرى المتميزة وهي الصّوت الكلامي" ، ونرى أن " الفونيم" هو المفهوم العام هو" أصغر وحدة صوتية غير قابلة للتحليل أو التجزئة، ويمكننا أن نفرق بين المعاني عن طريقه، وهذا ما ذهب إليه" بلومفيد".

والأمثلة كثيرة في ذلك: مثال لدينا كلمة"قال"، إذا وضعنا مكان الفونيم "ق" "ميما"، ولم ندخل أي تغيير على الكلمة تتحول إلى"مال"، تغير المعنى فنقول:القاف والميم فونيمات لأنها أدت إلى تغيير في "المعنى".

وقد يظهر الفونيم في العربية على شكل حركة، فكلمة" عَلِمَ" تختلف عن كلمة"عِلْمُ"، فالفتحة "فونيم"،والضمة"فونيم"، والكسرة"فونيم".[1]

ولهذا نقول إنّ اللغة العربية تتكون من تسعة وعشرين فونيماً وهي "الصوامت"، بالإضافة إلى ستة فونيمات وهي "الصوائت" الفتحة والضمة والكسرة، مع نظيراتها الطويلة: الألف، والواو، والياء، فيكون المجموع بهذا خمسة وثلاثين فونيما.

التفخيم والترقيق: تفخيم اللام في مثل" صلاة" وذلك لمجاورتها حرفاً مطبقا "ص" وفي مثل: la لمجاورتها الصائت المفخم a وتفخيم الراء في مثل" راح" لمجاورتها للفتح" رَ، ح، ـَ"، وترقيق الراء في مثل:"ريح" وذلك لمجاورتها الكسرِ "ر،يـِ،ح" وترقيق اللام في مثل:" سلام" لمجاورتها حرفاً منفتحاً "س".[2]

العلاقة التبديلية عند المحدثين: والتي هي شبيهة **بالعلاقة التعويضية** لدى التوزيعين؛ غير أن الفونولوجيين الوظيفيين يسعون من خلالها إلى التذليل على صحة التحليل، بتبديل الفونيم بآخر يمكن أن يحل محله داخل سياق ما مع الحصول على معنى مختلف مما يؤكد أنهما فونيمان وليسا فونيم واحدا وذلك في مثل : التقابل بين الغين والخاء" باعتبارهما لهويان" في السياق،...اب،إذ نجد التحليل يسفر على وحدتين مختلفتين في المعنى "خاب"و" غاب"، رغم أن الفونيمين يشتركان في كثير من الصفات بل إنهما لا يختلفان إلا في احتواء " الغين" على صفة الجهر، واحتواء " الخاء" على صفة الهمس، مما يدل على أن "الغاء و الخاء" فونيمان مختلفان ومتمايزان.[3]

و يجدر بنا في النهاية أن نشير إلى أنّ هذا الخلاف في تحديد مفهوم " الفونيم" إنما يرجع إلى الخلاف في مناهج البحث اللغوي بعامة؛ فكل واحد أوكل فريق من الدارسين يحدد هذا المفهوم بالوجه الذي يتماشى مع منهجه العام في الدرس اللغوي، وعلى الرغم من هذا الخلاف فإننا نلاحظ أنّ كل هذه الآراء تقود في النهاية إلى نتائج مماثلة.[4]

ومنه نستنتج أنّ الكلام الإنساني عند الأداء مكون من سلسلة من الأصوات المتشابكة يصعب التفريق بينها،بالإضافة إلى كثرة السياقات التي تقع فيها؛ وهذا التداخل والتشابك له صور كثيرة، يظهر في تعدد أمثلة "الصوت الواحد"، التي تتفق قي شيء وتختلف في شيء آخر، والأصوات النطقية الفعلية حيث يصعب استقصائها وتحليلها تحليلاً علمياً دقيقاً؛ لما تتعرض له من تفخيم، وترقيق، وقد يصيبها نوع من الإجهار...على الرغم من ذلك – ما تزال تكون حزمة صوتية "وحدة صوتية واحدة"، وهذه الظّاهرة ليست مقصورة على الصوامت، بل إن الحركات أيضا له نصيب ملحوظ من تعدد الصور بحسب تعدد السياق، تخضع للتغيير والتعدد في الكم من حيث القصر والطول...وتعدد الصور النطقية للحركات ملحوظ أيضا على مستوى الكلمة المفردة. فالفتحة الطويلة مثلا مفخمة في "طاب" ومرققة في" تاب" ولكنها بين بين في نحو "قال" وهكذا لحال في سائر الحركات...[5] وهذا كله من اهتمامات "علم الأصوات"أو ما يصطلح عليه في العصر الحديث " بالفونيتيك".

---

[1]. نور الهدى لوشن(2006م)، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط.1، المكتب لجامعي الحديث(مصر)، ، ص.ص125.124.

[2]. طيب دبة: مبادئ اللسانيات،ص.180.

[3]. المرجع نفسه: ص.179.

[4]. ينظر: كمال بشر، (2000م)، علم الأصوات، د. ط، دار غريب للطباعة والنشر(القاهرة)، ،ص.490.

[5]. ينظر: المرجع نفسه: ص.ص،478.477.

3.2 المطلب الثالث :كيفية إنتاجه:

ولا ننسى "ابن جني" في ذلك ووصفه الدقيق لأعضّاء جهاز النطق؛ فقد شبه عمل أعضاء النطق بعمل "وتر العود" فقال: فإن الضارب إذ ضربه وهو مرسل سمعت له صوتا فان حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتاً آخر، فإذا أدناه قليلاً سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة ...وهكذا.

ونظيره كذلك في "الناي" وقد شبّه أصوات الحلق والفم "بالناي"قال:" فان الصّوت يخرج فيه مستطيلا ...كما يجري الصّوت في الألف غُفْلاً بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراح بين عمله، اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصّوت في الحلق والفم باعتماده على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة. .[1]

ابن جني موضحاً عملية أعضاء جهاز النطق بتشبيهه بعمل" الآلات الموسيقية"، موضحا في تعريفه هذا الجانب" العضوي الفيزيولوجي"يقول فان الضارب ...إذا حصر آخر الوتر...أدى صوت أخر، و فكلمة "حصر" يقصد به ضغط حيز الذبذبات الصوتية ومجال الرد هنا هو" الهواء"، وهذه العملية من اختصاص الدرس الأكوستيكي للأصوات، وشبه عمل هذه الآلات بعمل أعضاء جهاز النطق، وكيفية إنتاج الأصوات، بطريقة علمية دقيقة.

الخليل فقال في تحديد مخارج الأصوات : فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين . ثم الهاء ولولا "هتة " في الهاء ، وقال مرة "ههة" لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء ، فهذه ثلاثة أحرف من حيز واحد بعضها أرفع من بعض ،ثم الفاء والغين في حيز واحد كلهن حلقية ، ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف ارفع ، ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد ، ثم الصاد والسين و الزاء في حيز واحد ، ثم الطاء والدال والتاء في حيز واحد، ثم الراء واللام والنون في حيز واحد، ثم الفاء والباء والميم في حيز واحد، ثم الألف والواو والياء في حيز واحد، والهمزة في لهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه".[2]

أما سيبويه فسار على خطى أستاذه " الخليل" إلا أنه أسقط مخرج الحروف الجوفية، وسنتعرض لذلك في تحديد مخارج الأصوات.[3]

*وصف العلماء القدماء الخليل، وسيبويه، وابن جني،... للأعضاء النطق وكيفية إنتاج هذه الأصوات، وصفًا دقيقًا، وهذا دليل على صحة تذوق القدماء للأصوات. وأرادوا بهذا التمثيل التقريب، وصواب طرقهم في الوصول إلى الحقائق الصوتية الدقيقة، بالرغم من اعتمادهم على الملاحظة المجردة على عكس المحدثين الذين اعتمدوا في ذلك على الأجهزة والطرق العلمية الحديثة في تحديد ذلك.

3 . المبحث الثاني: مخارج الأصوات وصفاتها بين القدماء والمحدثين:

1.3 المطلب الأول: مخارج الأصوات قديماً قراءة في علم اللّغة الحديث:

المخرج:

هو المصدر والموضع، فالمخرج الصوتي هو المكان الذي يصدر منه الصوت.

---

[1]. ابن جني: سر صناعة الإعراب، تح: حسن هذاوي، ج. 1، ص.ص،9.8.

[2]. الخليل بن أحمد الفراهيدي، (2002م)، كتاب العين، تح. د. عبد الحميد هنداوي، ج.1، ط.1، دار الكتب العلمية (القاهرة)، . 1424ه ، ص.3.

[3]. سيبويه: الكتاب، ج.4،ص.ص.433. 434.

أ . مخارج الحروف عند الخليل بن احمد الفراهيدي* " ت175 هـ": سبعة عشر مخرجا ، " في العربية تسعة وعشرون حرفا : منها خمسة وعشرون حرفا صحاح، وأربعة أحرف جوف ، وهي الواو، والياء، والألف اللينة ،والهمزة وسميت جوفا، لأنها تخرج من الجوف ، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ،ولا من مدارج الحلق ،ولا من مدارج اللهاة ، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه، إلا الجوف "[1]

حيث بدأ في ترتيبه بأعمق تلك الحروف في النطق: فأقصى الحروف في النطق وأبعدها مخرجا في تصور وهو "العين" ثم تدرج في الترتيب بحسب عمق المخرج وبعده حتى انتهى إلى أقربها مخرجا وهي الحروف الشفوية، وهي " الفاء والباء والميم" ثم الحروف الهوائية وهي حروف المد " الواو والألف والياء" أو الجوف كما سماها الخليل مضافا إليها الهمزة عنده.[2]

ب . مخارج الحروف عند سيبويه :عند سيبويه ستة عشر مخرجا ، وبهذا إلا انه اسقط مخرج الحروف الجوفية ، التي هي حروف المد اللين ،إذ جعل مخرج "الألف"من أقصى الحلق ، وجعل "الواو المدية "من مخرج الواو المتحركة من الشفتين ،وجعل "الياء المدية "من مخرج الياء المتحركة من وسط اللسان ، إذا قال سيبويه :ولحروف العربية ستة عشر مخرجا فللحلق منها ثلاثة :

. فأقصاها مخرجا: الهمزة ، والهاء، والألف .. ومن أوسط الحلق مخرج: العين، والحاء .. وأدناه مخرجا من الفم، الغين، والخاء.

الرابع: من أقصى اللسان فما فوقه من الحنك الأعلى مخرج: القاف. والخامس: من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا، ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج: الكاف. والسادس: من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج: الجيم، والشين، والياء، والسابع: من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج: الضاد.

والثامن: من بين أول حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرف اللسان، وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية، مخرج: اللام.

والتاسع: من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الثنايا، مخرج: النون.والعاشر: من مخرج النون غير انه ادخل في ظهر اللسان قليلاً، لانحرافه إلى اللام مخرج :الراء.والحادي عشر: من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، مخرج: الطاء، والدال، والتاء .والثاني عشر: مما بين طرف اللسان، و فويق الثنايا، مخرج: الزاي، والسين، والصاد.والثالث عشر: مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا ، مخرج: الظاء، والذال، والثاء.والرابع عشر: من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج: الفاء.والخامس عشر:مما بين الشفتين، مخرج الباء، والميم، والواو.والسادس عشر:من الخياشيم، مخرج النون الخفيفة، أي النون الساكنة .[3]

. ومخارج الأصوات عند" ابن جني" : "ت392هـ" ستة عشر أيضا .[4]و مخارج الأصوات عند القراء: سبعة عشر كما هي عند " الخليل".[5]

مخارج الحروف عند المحدثين:ومن الحدثين من جعل المخارج تسعة هي:. الأصوات الشفوية:التي تقع بانضمام الشفتين الواحدة إلى الأخرى،مثل: الباء، والميم، والواو. وفي الواو يكون الوصف أدق من أقصى الحنك إذا عند النطق بها يقترب اللسان من هذا الجزء من

[1] https://ar.m.wisource .org 17 : 30h 2020/03/16. الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين.

[2]. الخليل أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ص.3.

[3]. سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج.4، ص.ص،433.434.

[4]. ينظر: تحسين فاضل عباس، (د.ت)، مخارج الأصوات وصفاتها ،د.ط، جامعة الكوفة كلية الآداب، ص.ص.3 4 5.

[5]. المرجع نفسه: ص. 7.

الحنك . الأصوات الشفوية: وهي التي تقع بين الشفة السفلى منطبقة على الثنايا العليا مثل: الفاء. . الحروف لتي بين الأسنان: وهي التي تقع بوضع اللسان بين الأسنان العليا والسفلى منفرجة، انفراجا قليلا مثل: الذال، والثاء ، والظاء.

. الأصوات الأسنانية:وهي التي تقع بوضع طرف اللسان على الثنايا العليا، مثل: التاء، والدال، والنون، والسين، والزاي.

وهي عند بعض الحدثين الأصوات الأسنانية اللثوية، وهي: التاء، والدال، والضاد، والطاء، واللام، والنون.

. الأصوات الأدنى حنكية: وهي التي تقع بوضع اللسان على أدنى الحنك، مثل:الكاف، والقاف، إذا كانا قبل حركتي" الكسرة" الفتحة الممالة إمالة شديدة، ونحو الشين ولجيم، و"الياء"و" اللام"؛ لأن الهواء يجري فيها على حافتي اللسان، ونحو: الراء، وتسمى الراء حرفا مكرراً؛ لأن طرف اللسان ينزل عند لنطق بها.وعند بعض المحدثين في هذا لخرج أصوات: الخاء،والغين، والكاف، والواو.

. الأصوات الأقصى حنكية: وهو الذي يقع بضم ظهر اللسان إلى غشاء الحنك واللهاة، مثل: صوت القاف، والخاء، والغين.

.الأصوات اللهوية: نسبة إلى اللهاة: وهي التي تقع بضم ظهر اللسان إلى غشاء الحنك واللهاة، مثل: القاف والخاء والغين.

وبعض المحدثين يضم مخرج صوت القاف فقط . الأصوات الأدنى حلقية: وهي لتي تقع بتضييق أدنى الحلق وبانقباض جداره نحو: الحاء والعين. الأصوات الأقصى حلقية: وهي التي تقع في أقصى الحلق أو بالأحرى في رأس قصبة الرئة، نحو: الهمزة، والهاء. والمخارج عند بعض المحدثين إحدى عشر مخرجا، في حين نجد عند البعض عشرة.[1]

* يختلف المحدثين عن القدماء من حيث تحديد مخارج الأصوات فعندهم: تسع مخارج وهناك من يقول إحدى عشر وهناك من يقول عشرة والاختلاف وارد عندهم، مثل القدماء في تحديد المخارج على الرغم من أن المحدثين في تحديد المخارج اعتمدوا على الأجهزة العلمية الحديثة والآلات المتطورة ، أما عند علمائنا القدماء فاعتمدوا على الملاحظة المجردة والوسائل البسيطة .وقد كانوا سباقون في ذلك.

2.3 . المطلب الثاني: صفات الأصوات قراءة في علم اللّغة الحديث:

أ . الجهر والهمس:الصوت المجهور هو الذي يتذبذب "أو يهتز" الوتران الصوتيان عند نطقه. والصوت المهموس " هو الذي لا يتذبذب أو لا يهتز" الوتران الصوتيان عند نطقه .وصفة الجهر والهمس تميز بين أصوات من مخرج واحد ، فلولا الجهر في العين والهمس في الحاء لكانا صوت واحدا، وكذلك الغين والخاء، والتاء والدال، والسين والزاي، والثاء والذال،فان وجود صفة الجهر في إحداهما وفقدانها في الآخر قد ميزت بينهما في السمع. والأصوات المجهورة في العربية خمسة عشر صوتا هي :ع غ / ج ي/ ل ر ن د ض ز ذ ظ م ب و. والأصوات المهموسة ثلاثة عشر صوتا هي: ء هـ ح خ ق ك ش ت ط س ص ث ف . وكان بعض العلماء السابقين قد جمع الأصوات المهموسة في قوله: " سكت فحثه شخص". وهذا التقسيم يخالف مذهب علماء العربية وعلماء التجويد في إخراج ثلاثة أصوات من المجهورة وإلحاقها بالمهموسة ، وهي: "ء ق ط " فوصفوها بأنها مجهورة، وهي اليوم مهموسة.[2]الصوت الجهور" عند سيبويه ":حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت".[3]

فمعيار الفصل بين الأصوات المجهورة والمهموسة عند القدماء هو شدة الاعتماد على الصوت وجري النفس وعدمه ، على عكس المحدثين الذي يتحدد بدرجة التذبذب الصوت أو عدمه.إن مفهوم الجهر والهمس لدى القدماء يختلف عن مفهوم المحدثين وليس اتفاق الأصوات المجهورة والمهموسة لدى القدماء والمحدثين في أكثرها إلا دليلا على صحة التذوق القدماء للأصوات، وصواب طرقهم في الوصول إلى الحقائق الصوتية الدقيقة.

---

[1]. تحسين فاضل عباس: مخارج الأصوات وصفاتها بين القدماء والمحدثين، ص.ص.5. 6.

[2]. غانم قدوري احمد، (1426هـ . 2005م)، علم التجويد دراسة صوتية ميسرة، ط.1، دار عمان(الأردن)، ص.ص.60. 61.

[3]. تحسين فاضل عباس: مخارج الأصوات وصفاتها بين القدماء والمحدثين، ص.10.

ب . الإطباق والانفتاح: الإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له، فينحصر الصوت في مابين اللسان والحنك إلى موضع الصوت، والانفتاح أن لا تطبق ظهر لسانك برفعه إلى الحنك، فلا ينحصر الصوت. وكان سيبويه قد فصل القول في هاتين الصفتين حيث قال: " ومنها المطبقة والمنفتحة. فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء ،والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى. وقول سيبويه: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا... ولخرجت الضاد من الكلام " مبني على الوصف القديم للطاء بأنها مجهورة، وعلى النطق القديم للضاد الذي ذكره سيبويه .

فصفة الإطباق إذن قد ميزت أربعة أصوات هي الطاء والظاء والصاد والضاد عن مقابلتها المنفتحة، وهي التاء والذال والسين والدال، فالطاء أخت التاء، وإنما ميز بينهما وجود الإطباق في الطاء، وعدم وجوده في التاء، فالطاء في الواقع تاء مطبقة . وهكذا العلاقة بين الظاء والذال، والصاد والسين، والضاد والدال. [1]

ج . الشدة والرخاوة والتوسط بينهما: يعتمد وصف الصوت بالشدة والرخاوة على كيفية مرور الهواء في مخرج الصوت، فإذا حبس النفس في المخرج حبسا كاملا ثم أطلق بعد ضغطه لحظة كان الصوت شديدا " انفجاريا "، وإذا حصل تضييق لمجرى النفس في المخرج من غير أن يحتبس كان الصوت رخوا" احتكاكيا". وبعض الأصوات يحصل في أثناء النطق به اعتراض لمجرى النفس في المخرج، ولكن لا يحصل حبس تام ، لان النفس يجد له منفذا يتسرب منه، ويسمى الصوت حينئذ متوسطا. والأصوات الشديدة في العربية هي:الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والضاد، والباء. والأصوات الرخوة هي: الهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والياء، والواو.والأصوات المتوسطة : اللام، والراء، والنون، والميم. [2]ونستطيع بيانه في معالجة" ست" التي أصلها: "سدسي" قال لبن جني في الخصائص:" ست اصلها سدس، فقربوا السين من الدال بأن قلبوها تاء [3]"

ومصطلح " الشدة " وهو مصطلح تراثي قديم استعمله سيبويه، لا يستعمله المحدثون وإنما يستعملون مصطلح "انفجاري".

د . القلقلة: يتميز إنتاج الصوت الشديد " الانفجاري" بحبس النفس في مخرج الصوت لحظة، ثم إطلاقه فجأة على نحو سريع، فيؤدي ذلك إلى سماع نبرة أو صويت يتبع الصوت الشديد، وهو في الوقف اظهر منه في درج الكلام، وذلك في خمسة أصوات هي: القاف والجيم والطاء والدال والباء، وقد جمعها بعض المتقدمين في قوله: " قطب جد "، وغير ذلك وتسمى هذه الأصوات بأصوات القلقلة .

هـ . الغنة: الغنة صوت يخرج من الخيشوم. وهي صفة لازمة للنون والميم تحركتا أو سكنتا، ظاهريتين أو مخافتين أو مدغمتين، وهي في الساكن أكمل من المتحرك . لان الحركة تجذب آلة النطق فلا تدع النفس يجري في الخيشوم إلى اقل وقت ممكن .

و . الصفير: ذكر سيبويه الأصوات التي تحوي على هذه الصفة أصوات ثلاثة: السين والصاد والزاي،[4] سميت بذلك لما يصحبها من صفير أو أزير . والصفير صفة ذاتية في هذه الأصوات لا تنفك عنها، كالغنة في النون والميم.

ز . التكرير: ويقال له التكرار. هو ارتعاد طرف اللسان بالراء، فالراء صوت مكرر لان نطقه يقتضي تتابع عدة ضربات لطرف اللسان على اللثة، وسكون الراء أو الوقف عليها يزيدها إيضاحا . وقد حذر علماء التجويد من المبالغة في تكرير الراء. كما حذروا من المبالغة في إخفاء تكريرها.

---

[1]. غانم قدوري أحمد: علم التجويد دراسة صوتية ، ص.ص.63. 64.

[2]. المرجع نفسه: ص.62.

[3]. انظر:خليل ابراهيم العطية: البحث الصوتي عند العرب، ص.73.

[4]. تحسين فاضل عباس: مخارج الأصوات وصفاتها بين القدماء والمحدثين، ص ص.16.

ح . التفشي: هو كثرة خروج الريح بين اللسان والحنك. وهو صفة خاصة للشين. والحق بعض العلماء الفاء والثاء والضاد بالشين في هذه الصفة ، ولكن التفشي في الشين اظهر.

ط . الانحراف: وصف سيبويه اللام بأنه صوت منحرف، وعلل وصف اللام بالانحراف بان الصوت لا يخرج من موضع اللسان على اللثة ، ولكنه يجري من جانبي مستدق اللسان. [1]

. الاستعلاء: الاستعلاء هو أن يستعلي أقصى اللسان عند النطق بالصوت إلى جهة الحنك الأعلى. ويستخدم مصطلح الاستفتال مقابلا له. وقد ذكر الداني الأصوات المستعلية فقال:" والمستعلية سبعة أحرف، يجمعها قولك: " ضغط خص قظ "، الخاء والغين والقاف والصاد والضاد والطاء ، والظاء، سميت مستعلية لان اللسان يعلو بها إلى جهة الحنك، ولذلك تمنع الإمالة، إلا أنها على ضربين: منها ما يعلو اللسان به و ينطبق ، وهي حروف الإطباق الأربعة ، ومنها ما يعلو به اللسان ولا ينطبق، وهي ثلاثة:الغين والخاء والقاف، والمستفلة ماعدا هذه المستعلية، سميت مستفلة لان اللسان لا يعلو بها إلى جهة الحنك ".

وتحديد الاستعلاء على هذا النحو مفهوم يقترب مما قدمه المحدثون .

ي . اللين: وهو جريان النفس في مخرج الصوت أكثر من جريانه في الأصوات الرخوة، لكنه لا يبلغ درجة جريان النفس في الأصوات الذائبة، فالياء في " بيت" والواو في " حوض" أصوات لين.[2]

ومنه نستنتج أنّ الصوتيات" الفونيتيك" هو العلم الذي ينظر إلى الأصوات في حد ذاتها، ويدرس صفاتها من حيث مخارجها بل وحتى من حيث سماعها.فالفونتيك"phonetics" هو علم دراسة المادة الصوتية وطبيعتها وخصائصها المادية دون النظر إلى قيمتها اللغوية. ويدرس سماتها المميزة من حيث التفخيم والترقيق والجهر والهمس... وهو خطوة ممهدة للفونولوجيا.

4 . المبحث الثالث: علم وظائف الأصوات «phonology » بين نظرة القدماء ورأي المحدثين:

1.4 المطلب الأول: مفهومه: وهو علم يدرس الأصوات من حيث وظائفها في الاستعمال اللغوي، وهي أو دراسة النظم الصّوتية التي ينطقها أصحابها؛ لأنّ الصّوت في سياقه يختلف عنه مجردا من حيث تأثره بالأصوات السابقة عليه واللاحقة له.[3]

وقد أدرك اللغويون العرب القدامى الفرق بين ما يعرف الآن بعلم الفونتيك، وما يعرف بعلم الفونولوجيا، ودعوهما المنفرد والمؤلف ويقول ابن جني:" وليس غرضنا من هذا الكتاب ذكر الحروف يعني: حروف أصوات اللغة العربية، مؤلفة، لأن ذلك كان يقود إلى استيعاب جمع اللغة.[4]

هذا ولم يكتف " الخليل :ت 175هـ" بدراسة الصوت معزولا، بل درس كذلك وظيفة الصّوت في النظام اللّغوي للعربية دراسة علمية دقيقة:" كالإدغام، المضارعة، الإعلال، الإبدال، والقلب المكاني... مما يسمح بالقول:أنّه قد درس أصوات العربية دراسة :" فونيتيكية وفونولوجية"، وهذا يعني أنّه قد اهتم بدراسة الصوت وهو مستقل " منفرد"عن بقية الأصوات الأخرى، وفي الوقت ذاته عنيّ بدراسة وظيفية الصّوت اللّغوي عندما يسبقه صوت آخر أو يتبعه صوت ما...وكيف يتأثر هذا الصّوت ويفقد بعض صفاته، أو خصائصه التي كان يملكها، أو يتصف بها لحظة كونه منفردا معزولاً ومجرداً؟..ثم كيف يغير الصّوت معنى كلمة.؟...

وبعدها واصل"سيبويه: 180هـ" طريق أستاذه " الخليل، فقدم دراسة للأصوات أوفى من دراسة أستاذه وأكثر دقة، حيث أورد دراساته الصّوتية هذه . أثناء حديثه عن ظاهرة الإدغام ، ويعد سيبويه من أوائل علماء العربية المعتنين "بالإدغام"، حتى عده محور دراسته

[1]. غانم قدوري: المدخل إلى علم التجويد،ص.67.

[2]. المرجع نفسه:ص.68.

[3]. حسني خاليد: مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، ص.39.

[4]. عبد المعطي نمر موسى، (1435هـ .2014م)، الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى، ط.1، دار وكتبة الكندي(الأردن)، ص.22.

للأصوات العربية، وقد ترسم خطاه على من تلاه . على اختلاف العرض . بالكلام على مخارج الأصوات وبيان صفاتها العامة والخاصة ، وكمنهج أبي أسود الدؤلي من قبل " وصفاً واقعياً، قائم على الملاحظة الذاتية ، وبعيداً عن الافتراض والتأويل".[1]

إذن فقد جاء "سيبويه "صاحب " الكتاب" بدراسة صوتية أكثر دقة من دراسة أستاذه، ويبدو ذلك واضحا من خلال تفصيله في مخارج الأصوات موضعا وعددا، حيث جعلها ستة عشر مخرجا. وقد تأثر بكتاب "سيبويه" وكل من جاء بعده من النحاة واللغويين ،ليس في آرائه النحوية فحسب بل حتى في آرائه الصوتية كذلك، فاخذوا يرددون كلامه في الأصوات دون أن يزيدوا عليه ما يستحق الذكر، فلم يترك لسيبويه في كتابه فراغا يرأبونه ولا نقصا يضيفونه فها هو "الزجاجي" "ت340هـ" مثلا وهو من علماء القرن الرابع هجري ، نجده يتكلم في كتابه " الجمل" عن الإدغام ، والذي لا يحدث إلا من خلال معرفة مخارج الحروف وصفاتها ، ومن علماء هذا العصر كذلك الذين تأثروا بفكر سيبويه نجد " ابن جني" ت"392"، إذا وضع كتابا مستقلا في علم الأصوات سماه" سر صناعة الإعراب"، حيث لا يكاد يخرج فيه عن كلام" سيبويه "في تعداد المخارج ووصف الحروف ، فكثيرا ما يقتبس نص العبارات الواردة في" الكتاب " ويقف عند حدودها ، بيد أنه أول من استعمل، ولأول مرة مصطلح" علم الأصوات" منبها بذلك إلى العلاقة بين "علم الأصوات" وبين "علم الموسيقى" كما كان من خلال كتابه هذا الأسبق في تعرضه لطبيعة ووظيفة الجهاز النطقي عند الإنسان، مشبها إياه بالناي وبوتر العود، كما استطاع بذكائه وسرعة بداهته أن ينتبه إلى الدور الوظيفي التمييزي الذي يؤديه الصوت اللغوي ، وهذا ما يعرف اليوم ب: الفونيم" .[2]

كما يمثل " ابن جني" من خلال كتابه هذا مرحلة تطورا عميق في الدرس اللغوي عامة، والصوتي خاصة من حيث تحديده وتصنيفه للمفاهيم الإجرائية والآليات البحثية .

ولا تخرج تعريفات علماء العربية والتجويد للظواهر الصوتية من إدغام، قلب، إبدال، وقف... عن هذا المعنى، واصل ذلك كله وارد في كلام سيبويه .[3]

فعند المحدثين نجد العلاقات التركيبة التي هي علاقة الفونيم بما يجاوره ضمن المحور التركيبي، للوحدات والجمل فإمّا أن تسمح العلاقة بأن يظّل الفونيم محتفظا بجميع صفاته الصّوتية، وإما أن تؤدي إلى تغيير الصفة أو أكثر فيه، أو إلى تغييره ذاته ويحدث ذلك بفعل مبدأ فونولوجي هام يسمى المجاورة، ومن الظواهر الفونولوجيا لحاصلة في الفونيمات بفعل هذا المبدأ نجد:

المماثلة وهي نمط شائع من التغيير يحصل على فونيم بصلته بفونيم مجاور، ويرتكز على أن يحصل فونيمان معا سمة نطقية مشتركة، ويمكننا أن نمثل ذلك في مجموعة من الظّواهر الفونولوجية، التي يتميز بها اللسان العربي هي: الإدغام: مثل: إدغام" النون" في "الميم" عندما تكون ساكنة ، وذلك في مثل: "مما" التي أصلها "من ما".الاقلاب: اقلاب" النون" "ميما" حينما تتبع "بالياء" وذلك في؛ مثل: " ينبغي" التي تنطق نونها ميما إجابةً لما تقتضيه مجاورة النون للميم حينما تكون ساكنة.ج . الإبدال: إبدال "تاء" إفتعل طاء أو دالاً تأثراً بالصفات الصوتية المميزة للفونيم الذي قبلها"فاء الفعل" وذلك في مثل: "إضطرب " التي تفترض صورته النموذجية أن تكون قبل إجراء المماثلة : "إضترب" ، وفي مثل :"ازداري" التي تفترض صورتها النموذجية أن تكون قبل إجراء المماثلة "ازتري.[4]

[1]. صام نور الدين، (1992م)، علم وظائف الأصوات اللغوية " الفونولوجيا"، ط.1، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت(لبنان) ،ص.ص.166،164.

[2]. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص.16.

[3]. ينظر: غانم قدوري الحمد، (1425هـ . 2004 م)، المدخل إلى علم أصوات العربية،ط.1، دار عمار (الأردن)، ص.214.

[4]. طيب دبة: مبادئ في اللسانيات، ص.179.

* علم وظائف الأصوات أو ما يصطلح له حديثاً " بالفونولوجيا" يدرس وظيفة الوحدة الصوتية " الفونيم" داخل نظامه اللغوي من إدغام ، إبدال ، قلب ،وقف... إن هناك عددا من المصطلحات الصوتية وضعها علماء العربية ضمن علوم أخرى مثل الإعلال والإبدال فهي أقرب إلى علم الأصوات. وهي بمثابة قضايا شغلت العلماء قديما ومازالت تعالج في الدراسات اللغوية الحديثة.

2.4 المطلب الثاني: علم الأصوات وموقعه في الدرس اللغوي الحديث:

ولا شك في أن أهمية علم الأصوات في دراسة اللغة العربية وعلومها لا تقل أهمية عنها في دراسة اللغات الأخرى ، وتراثنا اللغوي زاخر بمباحث هذا العلم منذ العصور الأولى للتأليف اللغوي ، وزادت مكانة هذا العلم بعد أن جمع موضوعاته علماء القراءات القرآنية في كتب علم التجويد ، ولا شك في أن هذا العلم يخدم كتاب الله يقتضينا أن نعنى به اشد عناية ، وان نتعمق في أصوله وحقائقه، ونوسع في ميادينه بحيث يشمل كل العلوم اللسانية، حتى تظل عربيتنا سليمة صحيحة ، إذ في صحتها صحة أداء القرآن وسلامته. [1]

و علما أنّ اللغة قبل كل شيء أصوات تنتظم في كلمات وجمل ، وتتوقف معرفة نظامها الصوتي، عند البحث في قضاياها الصرفية والنحوية .[2]

الخاتمة والنتائج:

. وفي التراث العربي نجد كثيراً من القضايا الصوتية الموجودة في الدراسات اللغوية الحديثة؛ وأن العرب كانوا هم السباقون إليها، بداية من مفهوم الصوت وطبيعته، وخصائصه العامة، وأثره السمعي، A constic phonetics، ومعرفتهم الكثير بكونات جهاز النطق، ومخارج الأصوات، وفي صفات الأصوات، والجهر والهمس،... وكل ما يدخل في الصوتيات وهو ما يعرف في الاصطلاح الحديث" بالفونيتيك"، ودرسوا ما لم يعرفه البحث الصوتي الحديث مع اختلاف الوسائل، واهتدوا بالنطق الذاتي إلى ما اهتدى إليه المحدثون بوسائل العلمية والمختبرات الصوتية ومعاملها التقنية .

. إن كثيرا من المسائل الدقيقة في دراسة الأصوات عرفت عند العرب لا يوليها المحدثون شيئا من العناية ، وإنما يأخذون المادة الصوتية من اللغات الأخرى دون النظر إلى أصولها العربية.

. علم الأصوات وجد في صورته الواضحة والجلية في التراث العربي عند " الخليل"و،"سيبويه" "وابن جني" " وعلماء التجويد"، وليست الأبحاث الرائدة .

. وفي الأخير يمكن القول أن القضايا الصوتية في التراث العربي بدأت منذ شيوع اللحن عند العرب أي : بداية الدراسات اللغوية ، وتشمل القضايا الصوتية المخارج وصفات الصوتية حتى كل الظواهر اللغوية الصوتية بداية من المفهوم إلى كل ما تناول في البحث الصوتي، وأصبحت هذه قضايا تشغل بال الباحثين حديثا ومازالت تعالج في الدراسات اللغوية الحديثة، ولا ننسى الجهود الجبارة التي قدمها علماؤنا قديما، وقد كان لهم فضل كبير في ذلك. وتناولنا في هذا المقال بعض أو جزئية مما تناولها علماؤنا في الدراسة الصوتية التي أصبحت قضايا تعالج في الدراسات اللغوية الحديثة ولا يسعنا ذكر هذه القضايا في هذه الصفحات القليلة لضخامة التراث اللغوي والصوت العربي .

[1]. غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص.299.
[2]. المرجع نفسه: ص.300.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن جني ، (د.ت)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، د.ط، مكتبة دار الكتب المصرية.
2 . ابن جني، (1413هـ، 1993م)، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هذاوي، ، ط.2، دار القلم (دمشق).
3. إبراهيم أنيس، (د.ت)، الأصوات اللغوية ، د.ط، مكتبة النهضة (مصر).
4. أحمد مختار عمر،(1997م، 1418هـ)، دراسة الصوت اللغوي، د.ط، عالم الكتب(القاهرة) .
5 . تحسين فاضل عباس ، (د.ت)، مخارج الأصوات وصفاتها، د.ط، جامعة الكوفة كلية الآداب.
6. حسني خاليد،(د.ت)، مدخل إلى علم إلى اللسانيات المعاصرة، د.ط، مكتبة نوميديا.
7. . الخليل بن أحمد الفراهيدي، (1424هـ 2002م)، كتاب العين، تح: عبد الحميد الهندي، دار الكتب تعليمية (القاهرة)، د.ط، القاهرة.
8 . الخليل: معجم العين، 2020/03/16، 17:30 https://ar.wisource.org
9. خليل ابراهيم عطية، (1983م)، في البحث الصوتي عند العرب، د.ط، دار الجاحظ للنشر(بغداد).
10. رمضان عبد التواب، (1997م،1417هـ)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر (القاهرة)، مصر، ط.3.
11. سيبويه،(1402هـ، 1927م)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط.2، دار لرفاعي (الرياض).
12 . صام نور الدين ، (1992م) ،علم وظائف الأصوات اللغوية" الفونولوجيا"، ط.1، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت(لبنان).
13. طارق برمود،(2012م)، دلالة الألفاظ عند ابن جني كتابه الخصائص، مجلة الممارسات اللغوية (تيزي وزو)، العدد:9.
14. طيب دبه،(2001م) ، مبادئ في للسانيات البنيوية، د.ط، دار القصبة للنشر والتوزيع (الجزائر).
15. عبد المعطي نمر موس صناعة ، (2014م،1435هـ)، الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى، ط.1، دار ومكتبة الكندي (الأردن).
16. غانم قدور الحمد، (1426هـ 2005م)، علم التجويد، دراسة صوتية ميسرة، ط.1، دار عمان (الأردن).